" المودة فى القربى "

بعد أن ذكر الله -عز وجل- في الآيات السالفة الذكر أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يتمتعون بالنعيم في روضات الجنات ، وأنه يعطهم من فضله ما فيه قرة اعينهم رحمةً من لدنه ، يذكر الله -عزوجل- هنا أن ذلك كائن لا محالة ببشارة منه لهم ثم يعقب هذا بأن أمر رسول الله -ﷺ- أن يقول لهم :"أنه لا يسألهم على هذا البلاغ والنصح أجرا ، وإنما يطلب منهم التقرب إلى الله- سبحانه وتعالى- ، وحسن طاعته " .

فقال تعالى :

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

[سورة الشورى:٢٣]

والمعنى: قل لهم يا محمد -ﷺ-:إنى لا أسألكم على تبليغ ما أبلغتكم به من هذا الدين القويم نفعاً منكم في دنياى ، ولكن أسألكم أن تؤدوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة ، والعمل الصالح ، ويدخل في ذلك مودة النبى -ﷺ-، ومودة قرابته ، ومودة ذوى القربى من المسلمين فإن من تقرب إلى الله أحب رسوله -ﷺ-، وأكرم قرابة الرسول،وأكرم قرابته هومن المسلمين،فالآية عامة تنتظم جميع المسلمين فى المحبة والمودة، والتراحم ، والعطف ، قال -ﷺ-:"مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وتراحمهم وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحمى " .

ويقول " ابن عباس"-رضى الله عنهما - : " قال لهم رسول الله-ﷺ-: " لا أسألكم عليه أجراً إلاَّ أن تَوَدّوني في نفسي لقرابتي منكم، وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم " . وعن "الشعبى " قال : " أكثر الناس علينا في هذه الآية : " ..... قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ....." .

فكتبنا إلى " ابن عباس" – رضى الله عنهما - نسأله عن ذلك ، فقال : " إن رسول الله-ﷺ-كان واسط النسب في قريش ليس بطن من بطونهم إلاّ ، وله فيه قرابة ، فقال الله:" ... قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ...."على ما أدعوكم إليه . "....إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ...." أن تودوني لقرابتي منكم ، وتحفظوني بها " .

" والذي جاء بالصدق" هورسول الله- ﷺ - " وصدق به " قال المسلمون " أولئك هم المتقون " .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : اتقوا الشرك .

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ...﴾ يعني في الجنة مهما طلبوا وجدوا ، ﴿...ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الزُّمَر:٣٥]

كما قال - عز وجل- في الآية الأُخرى : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة سورة الأحقاف:١٦] (١) .

فالاسلام يحث ويحض المسلم على الصدق فى جميع أقواله وأفعاله فإن الحيف في الشهادة مثلا يعد من أشنع ألوان الكذب ، فمن الواجب على المسلم أن يَصْدِق في الشهادة ولوكان ذلك على أدنى الناس منه قرابة ، أوأحبهم إليه لا تميل به قرابة ، ولا عصبية ، ولا رغبة ولا رهبة . فتَزْكِيـــة المرشحين مثلا لعضوية مجلس الشورى أو مجلس الشعب ، أو منصب من المناصب العامة يعد لونا من ألوان الشهادة ، فالذى ينتخب المغموط في كفايته ، وأمانته ، فقد كذب وزور ولم يقم بالقسط والعدل ، كما أن التقارير التى يكتبها أى مسئول مثل التقارير التى تكتب في الأشخاص الذين يتقدمون لشغل درجات علمية ، أومناصب قيادية كالقضاء والنيابة والكليات العسكرية ، وهى شهادة يسأل عنها امام الله يوم القيامة إذا ما زور في تقريره وكتب له أشياءً لا يملكها المتقدم لشغل هذا المنصب كما نرى في عصرنا هذا . يقوم بكتابة تقرير يثبت فيه أن هذا المتقدم يملك حيازة لأكثر من عشرين فدانا ، أوحظيرة خيول ، وعقارات ، وعمارات وهو لا يملك من حطام الدنيا شيئاً . فتلك الأمور تزوير وحيف وجور وظلم لأنه بذلك التقرير ربما يشغل مقعداً كان من الواجب أن يشغله غيره ، فبالتقارير الظالمة يقع الجور والظلم وهومُنَـــافٍ للصدق الذى يجب أن يتخلق به المؤمن .

قـــال تعـــالى : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [سورة النساء:١٣٥]

---

1 - تفسير ابن كثير جـ ٤ ، ص ٣٥- ٥٤.
◘ صفوة التفاسير للصابونى جـ ٣ ، ص ٧٩ – ٨٠ .

"وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي"وهنا يسأل " حصين " " زيد بن الارقم " : ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال: إن نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس، قال: أكل هؤلاء حرم الصدقة ؟ . قال: نعم .

عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت: يا رسول الله ، إن قريشاً إذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ؟ .

قال: فغضب النبي- ﷺ - غضباً شديداً، وقال: "والذي نفسي بيده، لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله " . وفى رواية أُخرى قال- ﷺ -: "والله لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي" . وعن ابن عمر عن أبى بكر الصديق – رضى الله عنهم أجمعين- قال: ارقبوا محمداً- ﷺ - في أهل بيته .

ويروى أن رسول الله قال- ﷺ -: " إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، والآخر عترتي : أهل بيتي ، ولن يَتَفَرَّقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما " . عن أبي إسحاق، عن حَنَش قال: سمعت " أبا ذر " وهوآخذ بحلقة الباب ، يقول: " يا أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني فأنا " أباذر " ، سمعت رسول الله- ﷺ - يقول: " إنما مثل أهل بيتي فيكم مَثل سفينة نوح، من دخلها نجا ، ومن تخلف عنها هلك " . فواجب على كل المسلمين حب الله ، وحب رسوله- ﷺ -، وحب آل بيته ، وحب كل من أحب آل بيته . ويقول الشاعر الصوفى :

والحب إن ملك النفوس أعزها والعارفون بربهم علماء

فالذين ينكرون حب آل بيت النبوة إنما هم فى ضلال مبين ، وقد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوه ، فهم لا يبصرون من العماء ،وذلك مثل " الشيعة " وهواسم في غير موضعه . هؤلاء الذين يسبون آل البيت ، ويعيبون السيدة الفضلى "عائشة " بنت أبى بكر وزوج النبى- ﷺ -، بل ويتهمونها ، والعجيب أنهم يسمون " بالشيعة "

والمفروض أن يكون هؤلاء أشد حباً من غيرهم لآل بيت رسول الله- ﷺ -، فحب الله وآل بيته عيون كل مسلم صحيح العقيدة ، راسخ الإيمان .

اللهم ارزقنا محبتك ، ومحبة نبيك- ﷺ -، ومحبة آل بيته ، وحب من يحب الله ورسوله وآل بيته ..... آمين .[1]

1- تفسير ابن كثير جـ ٤ ، ص ١١١ – ١١٤ .
- مختصر تفسير ابن كثير جـ ٣ ، ص ٢٧٥ .
- تفسير القرطبى جـ ١٦ ، ص ٢٠ .
- البحر المحيط جـ ٧ ، ص ٥١٦ .
- فى ظلال القرآن الكريم جـ ٥ ، ص ٣١٥٣ وما بعدها بتصرف .
- تفسير المراغى جـ ٩ ، ص ٣٨ وما بعدها بتصرف .
- حاشية الجمل .
- الكشاف للزمخشرى .
- تفسير النسفى .
- حاشية الشهاب على البيضاوى .

obeikandl.com